

سيمياء الالوان في الشعر العراقي الحديث

الباحث : طالبة الماجستير بتول نعمة علي الموسوي

اشراف الاستاذ الدكتور صدام فهد الاسدي

اللون :

فقد عرف ابن منظور في لسان العرب اللون بـ : الهيئة كالسواد والحمرة .^١

اما في الموسوعات الحديثة قضية تفضيل في ضوء تطور العلم (خاصية ضوئية تعتمد على طول اموجه ويتوقف اللون الظاهري لجسم ما على طول موجة الضوء الذي يعكسه .

وبكل تواضع يمكنني ان اعرف اللون في الشعر دلالياً : خاصية دلالية تعتمد على طول الموجة الشعورية في نفس الشاعر تعبيراً عن ذوقه وذاته وسبغته على موقف لرمز معين

تقسيم الالوان :

يمكن تقسيم الالوان الى اساسية بسيطة وثنائية مركبة او الوان صريحة واخرى رمزها كالظلمة او النور وغيرها فالأساسية عند العالم الامريكي فرانكلين هي : الاحمر و الازرق والأصفر .^٢

ما يهمنا من هذا استخدام الشاعر لهذه الالوان و ما يريد بها من دلالة وهذه الدلالة لا يمكن ان تكون ثابتة عند شاعر وشاعر اخر يماثله بها لأن لكل حالة شعورية ولكل رمز ولكل حب وميل للون معين

اختلاف الدلالة اللونية :

اذا كان الاسود في موضع يدل على الحزن فهو يدل على الاناقة والاحترام والرزانة واذا كان اللون الابيض يدل على الصفاء والبراءة والنقاء لكنه يدل على السطحية وعدم الملاحظة .

واذا كان اللون الاحمر يدل على الحرب والدم والقوة فيهما لكن الورد بل اجمل الورد هي الحمراء .

^١ - لسان العرب مادة لون

^٢ - مبادئ الرسم واللون : ٢٥٢

واذا كان الاصفر يدل على النرجسية والقدر والكذب لكنه يذكر في القرآن يدل السرور او في قول ابن عباس (من لبس نعلا صفراء لم يزل في سرور ما دام لابسها) وفي مواضع اخرى انه يرفع ضغط الدم المنخفض المرتبط بالأنيميا والانهاك العصبي والوهن العام في الجسم ولكن على خلاف دلالة السرور والنشاط دلالاته على الازعاج والكأبة (حسب طلب جماعة من محلة يود رجزي الى صاحب احدى البنائات الشاهقة ان يطلّوها بغير اللون الاصفر لأنه يزعجهم ويجلب لهم المرض ورفعوا عريضة للمجلس البلدي لكنه لم يفعل ولكن عرفوا ان الذين يصابون بالتقيؤ خمسين بالمائة لان دلالاته متأنية من الذبول واذا كانوا العرب لا يحبذون اللون الازرق لأن العين عندما تعمى تصبح زرقاء لكن البياتي يقول :

انا صريع الاعين الزرقاء

صريع النار في الافران صهباء

اذ يشكل اللون الازرق جمالا وانجذاباً

دلالة الالوان المباشرة وغير المباشرة :

بعض الشعراء من وضعوا الالوان في دلالتها المباشرة واخرون وضعوها في غير المعنى المباشر فالشاعر محفوظ البصري يقول :

اغرق في الصدف البحري وفي ذاكرة الموج

الازرق تلتم نوارسه البيضاء

تترك للريح جداولها السوداء

مباشرة لأن الموج بديهي انه يميل للأزرق والجداول سوداء والنوارس حتما بيضاء فلم يأتي بشيء جديد فقط انه رسم صورة فيها نوارس بيضاء وجداول سوداء قد تركت للريح وكل هذا غارق في ذاكرة الموج الازرق .

في حين نرى سيد مجيد الموسوي يرسم صورة رائعة محلقة في ضباحي خيال عالٍ

يالتلك الزهور الغريبة سوداء كالفهم

كنت ادري ارتباكي

اما الشاعر البصري أ . عبد الله عباس خضير فقد خالف ما هو معروف باضرار النخلة التي
وصى النبي (صلى الله عليه وسلم) به : (اكرموا عمتكم النخلة) فيقول :

اطلال القرنة دارسة

والنخلة تلبس ثوب الحزن

بدلالة اللون الاسود في قوة وسطوة ثبات الاخضرار للنخلة لا يمكن قبولها فقط في حالة
اقناعها في قول الشاعر للسبب اذ يذكر :

يقرأ لي بعد الحرب ...

فهذا هو السبب في حين البياتي يضيف الاخضرار على السحابة ولربما السحاب ان يكون
ابيض او اسود ولكنه اراد بها تفائلاً وانها تعني له موقفاً مريحاً خصبا في روعي فيقول

ابحث عن سحابة

خضراء عني تمسح الكأبة

تحملني

الى براري وطني

فهل عرفت لماذا هي خضراء ؟ نعم لأنها تمسح الكأبة ولأنها تحمله الى براري وطنه العراق
.

يخالفه في هذا التفائل والارحية عبد الرزاق الربيعي اذ يقول :

مررت على قلق الماء

مرور نيزكة

ولم تترك سوى

لون الحداد

علامة استفهام

كيف نيزكه وتترك لون حداد لا بل حداد برسم اكثر غموضاً هو علامة استفهام فالون الاسود
هنا اصبح يدل على لون الابهام .

واليك يا من تقول ان اللون ثابت وبعض الباحثين او العلماء ارادوا حصر الالوان بصفات نفسه كما يفعل قدامه بن جعفر في الالفاظ وهو المسعودي في كتابه (مروج الذهب) .. هذا جواد الخطاب يقول :

علي ان اتربص بالعقول

وازرع في عروة جاكيتها الغامق

فزراعة بيضاء

فهذا الشاعر قد جعل اللون الابيض الذي هو اكثر دفي وجمال وراحة للنفس (فزراعة) وهذا الدلالة لأنه فزراعة فيجب ان يكون رمزاً الى شيء غيبي والى الجن والاساطير هذا من ناحية ومن ناحية اخرى لأن جاكيتها (غامق) فيكون واضح .

وخاطبها السياب :

والسؤال : لماذا كل هذه القساوة على العراق ؟

في غدٍ تمضين صفراء اليد

لا هوى . او غنم نحو العراق

وتحسين بأسلاك العراق

شائكات حول سهل اجرد

هل صفراء اليد ؟ من اللون الاصفر ام الرقم صفر فهو يغالط افكارنا ويحيرنا ولكن : انه يريد الصدر تعلمون لماذا لأنه يصدر ما فقد منها ولم يبقى بيدها شيء اذا فقد منها (الهوى ، والغنم ، واللقاء) ولكن تمهلوا انه يريد اللون الاصفر لأنه يقول حول سهل اجرد والجرد يعني انه يابس والصفار من دلالاته الذبول واليبس ، والبياتي يسكب دلالة الزيف على اللون الاصفر عندما رسمه في الجرائد اذ يقول :

زماننا بلا شعر وكان الاحدب الامير والاوثن

والصحف الصفراء والاقزام والذؤبان

تعوي وتعوي ..

جماليات ابداعية للون واستخدامه :

من الجميل يعد الاستاذ عبد الله عباس خضير الالوان شيء له علاقة بحضارته

والوان الطيور
انه سر الحضارات ..

كما عنده تتخذك الألوان

اللحظة

ذات اللحظة

اذ

تختلط الالوان

الاسود والابيض

والبني

وصوت الجان ... هل صوت الجان لون ؟ لربما عند الشاعر

كل لا يتجرأ في الميزان ...

والشاعر كمال عبد الرحمن في (عجب) يقول :

اوقفني السراق بليلٍ

فلما لم يجدوا في غنيمتهم

تسرقوا لوني

.... ومضوا

عجب قالها الشاعر ونقولها نحن لأنهم ماذا تسرقوا ؟ او كيف تسرقوا لونه ؟

لم اجد له مخرجاً الا بعد ان قرنتها بمقولة نقولها للخائف (انخطف لونه)

اما الشاعر عبد الامام حسن البصري فقد رفض الالوان واصر على ذلك لكنه استخدمها في قصيدته رفض لحبيبتة ان تستخدمها لكي تتجمل بينما هو استخدمها في تجميل قصيدته فيقول :

انا لا اهوى جمالا تصنعينه

لا ولا اهوى بياضا فوق خديك طحينه

او سواد برموش تضعينه

وعلى كتفك ليل قد تدلى

اشقرا لا تحملينه

هل هو مستبد على حبيبته ام هو اقنعها كلا الشعراء دائما يؤثرون بالناس فكيف بحبيباتهم فهو
اقنعها واقنعنا اذ يقول :

انها الوردة فلا تطلی الورود .